

يحيى بوعزيز، ودوره في إبراز أعلام الجزائر، وما أثرهم.

الدكتور سليمان قوراري

جامعة أدرار

الملخص :

الدكتور يحيى بوعزيز، علم كبير من أعلام الجزائر المعاصرة، كاتب وأستاذ التاريخ في الجزائر، من مواليد 1929/5/27م بدائرة الجعافرة ولاية برج بوعريريج، تلقى علومه بجامع الزيتونة في تونس، ودرس في القاهرة حيث نال الإجازة هناك، كما توج مساره العلمي والتحصيلي بالحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر، شغل العلامة يحيى بوعزيز عضوية المجلس الإسلامي الأعلى، واشتغل في التعليم العالي حيث تخرج على يديه آلاف الطلبة والباحثين، كما ترك موسوعة تاريخية ضخمة، لا تقدر بثمن، فيها ما يشتهيه الطلبة والباحثون من صنوف العلم والمعرفة والتاريخ والأدب، توفي العلامة يحيى بوعزيز يوم الأربعاء 2007/11/7م في وهران عن عمر ناهز الثامنة والسبعين عاما، رحمه الله واسكنه فسيح جناته أمين.

YahyaBouaziz, écrivain et professeur d'histoire algérienne. Né en 27/5/ 1929 dans le village de Aldjaafra wilaya -de Bordj Bouariridje mort à Oran le mercredi 7 Novembre 2007 à Oran, à l'âge de 78 ans.

Il apprend le coran dès son jeune âge et suit ses études a la mosquée Zitounaà Tunis En 1949. Il a obtenu un doctorat en histoire à l'Université de l'État de Alger. YahyaBouaziz c'est un membre du Conseil islamique suprême en Algérie. Professeur d'histoire à l'Université de Oran. YahyaBouazizc'est distingué dans le domaine de la recherche en histoire. Éminent historien algérien, il écrit des centaines d'article et des dizaines de livres.

Cet article traite les efforts de yahyabouaziz dans la présentation de l'apport des grandes personnalités algériennes dans les différents domaines

تمهيد:

يقف العلامة يحيى بوعزيز كالطود الشامخ، من بين الشخصيات العلمية الجزائرية، التي ساهمت بقسط وافر في إبراز أعلام الجزائر، ومآثرهم عبر مختلف العصور، ودورهم الحضاري، ونشاطهم العلمي، ودورهم السياسي، وذلك بروح قوية، ونفس أبية لا تعرف الكلل، ولا الملل، كيف لا وهو المتخرج من مدرسة القرآن الكريم، والذي رضع الينابيع الصافية للحضارة الإسلامية المشرقة من مدرسة أبيه الصامدة، ومن زوايا العلم والقرآن في الجزائر الشامخة المكافحة، ومن معهد الزيتونة العتيق، الحاضن لمصادر الثقافة الأصيلة، ومن جامعة القاهرة، الحافلة بالمفكرين والمؤرخين، وأساطين العلم والثقافة، في مختلف التخصصات.... والمتكوّن في أوساط النضال السياسي، والكفاح الطلابي، وفي أحضان ثورة التحرير، وجبهتها المكافحة... وسنحاول من خلال هذا المقال أن نسلط بعض الأضواء الكاشفة لجانب من هذه الجهود العلمية للأستاذ الدكتور المرحوم يحيى بوعزيز، جزاه الله سكنى الجنان، بجوار سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وسلم كل حين وأن.

اشتهر القطر الجزائري منذ أمد بعيد، بأعلامه الذين برزوا في فنون شتى، تم من خلالها التأكيد على هوية هذا البلد المسلم المعتر بالعربية التي جعلها لغة له لأنها لغة القرآن الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته، ويكفي الباحث أن يعود إلى أي معجم للأعلام فسيجد صدق ما ندّعه، وما ذكر في هذه الكتب إنما هو النزر القليل ممن نجا من عوادي الزمان وكوارث الطبيعة، وإهمال الإنسان، وتسلّط أصحاب البغي والعدوان، ومثال هذه الكتب المفيدة: معجم أعلام الجزائر حيث يصادفنا

لقب الأوراسي¹. وذكر عادل نويهض مجموعة من علماء منطقة أغريس يعرف كل واحد منهم بالإغريسي من إقليم معسكر برزوا في مجالات عدة². وهذا يدل على مدى تجذر الهوية الإسلامية في هذه الناحية من الأمصار الإسلامية، وتفنيد دعاوى المحتل الفرنسي المغالطة لحقائق التاريخ ومنطق العلم الصحيح.

محطات مضيئة من سيرة المرحوم يحيى بوعزيز:

الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز من مواليد يوم (27 ماي 1929م) بقرية ودائرة الجعافرة من ولاية برج بوعريريج، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، والفروض الدينية على والده الشيخ الحاج عبد الرحمن بوعزيز، وشارك تعليم وتحفيظ أبناء القرية للقرآن الكريم، ذلك لأن المرحوم يحيى بوعزيز كان من الرعيل الذي نشأ على مائدة القرآن الكريم، التي يجد فيها المؤمن كل ما يحتاجه من أمور دينه ودينياه، ولأن كتاب الله تعالى، كان بالنسبة للجزائريين شيئاً مقدساً، لا يعلوه في القداسة، أي شيء، كيف لا وهو الكتاب العزيز الذي قال فيه المولى تبارك وتعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تِجَارَةً لَّنْ نَّبُورَ (29) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

¹ الأوراسي (804 – 849هـ/ 1401 – 1445م) أحمد بن عيسى بن علي الداودي الأوراسي : أصولي، منطقي، بياتي، من فقهاء المالكية. من أهل أوراس. تعلم بتونس، حج سنة 849 هـ ودخل القاهرة ولقي السخاوي. له حواش على بعض الكتب " معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر : عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان. ط2، 1400هـ – 1980. ص: 24.

² ينظر : المرجع نفسه. ص: 21، 22.

إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ
 (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
 مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)
 جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
 حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ
 (34) الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَّا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
 لُغُوبٌ (35) ¹.

جاء في مختصر تفسير ابن كثير حول هذه الآيات البيئات "يُخْبِرُ
 تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْلَمُونَ بِمَا
 فِيهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى سِرًّا وَعَلَانِيَةً بِأَنَّهُمْ
 (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورًا) أَي يَرْجُونَ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ لَا بَدَّ مِنْ حَصُولِهِ،
 وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ) أَي لِيُؤْفِقَهُمْ ثَوَابَ
 مَا عَمَلُوهُ وَيُضَاعَفَهُ لَهُمْ بِزِيَادَاتٍ لَمْ تَخْطُرْ لَهُمْ، (إِنَّهُ غَفُورٌ) أَي لِيُؤْفِقَهُمْ
 (شُكُورًا) لِلْقَلِيلِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ مُطَرِّفٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ
 الْآيَةَ يَقُولُ: هَذِهِ آيَةُ الْقُرْآنِ...² وفي عام (1947م) التحق بزواوية الشيخ
 الحاج حسن الطرابلسي بعنابة، ودرس مختلف العلوم العربية، الفقهية،
 واللغوية، والأدبية، وفي عام (1949م) التحق بالجامعة الزيتونية في
 تونس وحصل على شهادة التحصيل (البكالوريا) عام (1956م).

¹ فاطر : 29، 35.

² مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم، بيروت -
 لبنان، الطبعة: السابعة، 1402 هـ - 1981 م / 2 / 146

في خريف (1957م) التحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة، وحصل على شهادة الليسانس في التاريخ عام (1962م) وعندما عاد إلى الوطن عام (1962م)، حصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر عام (1976م). إن هذه الروح المحبة للعلم والتعلق به، إنما هي نابعة من روح قرآنية كانت تسري في أوصال المرحوم يحيى، الذي عاش بالقرآن وللقرآن، وكيف لا يكون نهما في طلب العلم وتحصيله، وتحببته لطلابه، وكيف لا يكون عمله خالصا للذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم وكيف لا يتمثل القيم الإسلامية الرفيعة من تقوى الله والصبر في سبيل نصرته دين الله تعالى، هو القارئ الذي يعرف أكثر من غيره البيان الرباني الذي يقول في سورة الزمر: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (9) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) قُلْ إِنِّي أُمرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) ﴾¹.

اشتغل خلال إقامته بتونس في ميدان الصحافة في إطار جبهة التحرير الوطني، ونشر عشرات المقالات في الصحف والمجلات التونسية والعربية، ونشر كتابا عن جهاد الأمير عبد القادر عام (1957م)، وكان

¹ الزمر : 9، 14.

عضوا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ورئيس اللجنة الثقافية في تونس والقاهرة.

وفي مصر اشترك في إذاعة حصص من إذاعة صوت العرب، عن كفاح شعب الجزائر، وترأس اللجنة الثقافية، وتحرير مجلة الطالب الجزائري التي كان يصدرها الاتحاد في القاهرة.

عندما عاد إلى الوطن عام (1962م) اشتغل في التدريس، وعين عضوا في لجنة التأليف المدرسي الوزارية عام (1963م) بالعاصمة، وكلف عام (1969م) بتأليف كتاب مدرسي في التاريخ الحديث والمعاصر للسنة الأولى ثانوي، وأنجزه مع زميلين آخرين.

ألف كتاب : الموجز في تاريخ الجزائر الذي صدر عام (1965م)، ونشر بعد ذلك مائة مقال موثق، وثمانية وعشرين كتابا عن تاريخ وكفاح وحضارة الجزائر، وله عشرة كتب مخطوطة، واشتغل أستاذا للتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة السانية بوهران، حتى تقاعد آخر عام (1996م)، وهو عضو مؤسس لاتحاد الكتاب الجزائريين، واتحاد المؤرخين الجزائريين، وشارك في معظم ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، وفي ملتقيات أخرى خارج الجزائر من ضمنها وليس كلها :

- (1) ملتقى المستشرقين الألمان الواحد والعشرين في برلين الغربية أواخر شهر أبريل (1980م).
- (2) الملتقى الدولي الثاني لتاريخ المغرب وحضارته في تونس أواخر نوفمبر (1980م).
- (3) الملتقى الدولي عن صدى الثورة الجزائرية في الخارج أواخر نوفمبر (1984م) بالجزائر.

وله العديد من المقالات والكتب المطبوعة¹

جوانب مضيئة من جهود المرحوم يحيى بوعزيز :

سخر المرحوم المجاهد يحيى بوعزيز روحه وقلمه ولسانه وجوارحه في خدمة الجزائر وتاريخها وحضارتها، ورفع هامتها وأعلامها خفاقة عالية بين الدول والشعوب، وهو بذلك يضرب أروع المثلة وأصدقها في خدمة تاريخ العرب والمسلمين، ونشر الحقائق ودحض الشبهات، بالدليل والبرهان التاريخي، متمثلا في ذلك هدي القرآن الكريم، الذي يقول ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾². وعن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ»³. وإتقان صنعة كتابة التاريخ، وإقرار حقائقه، ودحض أباطيل المبطلين، وتقنيد شكوك المتشككين، يندرج تحت هذا المبدأ العظيم من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وكان اهتمام المرحوم يحيى بوعزيز بعلم التاريخ نظرا لفوائده العظيمة الجمّة، ومن أبرزها معرفة المحطات الكبرى فيه، واستلهام الدروس والعبر والفوائد من خلالها، والعمل بالإيجابيات وتجنب السلبيات، وفي هذا الصدد ذكر الإمام السيوطي رحمه

¹ نقلنا ترجمة المرحوم يحيى بوعزيز من : الأعمال الكاملة للدكتور يحيى بوعزيز. طبعة لا سيما، وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما، 2009م. م4، ص: 239، 240. وينظر أيضا : موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين : إعداد : مجموعة من الساتذة. إشراف : رابح خدوسي. منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2014م. ج1، ص: 488، 489، 490.

² {الكهف: 110}

³ المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ). تحقيق: سيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. ج2، ص: 304.

الله في الشماريخ في علم التاريخ من الباب الثاني في فوائد التاريخ، منها: معرفة الآجال وحلولها وانقضاء العدد 1 وأوقات التأليف ووفاة الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكذابين وصدق الصادقين. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ¹ 》. وأخرج البخاري في الأدب المفرد والحاكم عن ميمون بن مهران قال رفع إلى عمر صك² محله شعبان فقال: أي شعبان؟ الذي نحن فيه أو الذي مضى أو الذي هو آت؟ ثم قال لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم. فقال: إن الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين. فقال: اكتبوا على تاريخ فارس. فقال: إن فارس كلما قام ملك طرح من كان قبله. فاجتمع رأيهم على أن الهجرة كانت عشر سنين³ فكتبوا التاريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عدي: ثنا عبد الوهاب بن عصام أنبأنا إبراهيم ابن الجنيد أنبأنا موسى بن حميد أنبأنا أبو بكر الخرساني قال قال سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ." وقال حفص بن غياث: "إذا اتهمتم⁴ فحاسبوه بالسنين" يعني سنة وسن من كتب عنه. وقال حماد بن زيد: "لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ⁵."

¹البقرة: 282.

²أي كتاب "خطاب" أو وثيقة بيع.

³أي مدة مكث النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة عشر سنين.

⁴أي إذا اتهمتم راويا من الرواة.

⁵الشماريخ في علم التاريخ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)

تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود. مكتبة الآداب. ص: 17، 18.

وانطلاقاً من فوائد ودروس التاريخ الجلييلة يمكن أن نرصد بعض الجوانب المضيئة في رحلة جهاد العلامة يحيى بوعزيز العلمية، والتي من أهمها :

(1) إحيائه لجهود العلماء الجزائريين الذين ساهموا مساهمة فعالة في خدمة علوم العربية والإسلام، ونفض الغبار عن الكتب المخطوطة، وإحيائها، ودراستها دراسة علمية موثقة، خدمة للعلم وطلابه، ومن ذلك تحقيقه للكتاب الجليل " طلوع سَعَد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر " للأغا بن عودة المَزاري، وقد ذكر فيه عددا من العلماء وذلك في المقصد الثالث والذي خصصه لذكر بعض علمائها، وقد اعترف المصنف بكثرة علماء وهران، ولذا اقتصر على ذكر المشاهير منهم معتمداً في ذلك على كتاب " دليل الحيران " للشريف الحسني أبي عبد الله محمد بن يوسف الزياتي وذكر من بينهم :
أ. أبو عبد الله محمد الوهراني الملقب بركن الدين، وذكر صلته بالمشرق حيث دخل مصر في حدود السبعين من القرن السادس، واشتهر بالعلم والأدب، وحسن الفهم والنجب، وحصل بها من العلوم لبابها، وكشف الحقائق حجابها. وذكر الباحث المرحوم : يحيى بوعزيز أنه من علماء وأدباء القرن السادس الهجري (12م) ولد وعاش بوهران معظم سني حياته، وقد تجول في بلدان المغرب العربي، وصقلية على عهد الموحدين، ثم انتقل إلى مصر، وزار بغداد ثم التحق بدمشق، عام 570هـ (1174م)، وعين إماماً في مسجد داريا بضواحيها وبقي بها حتى توفي في شهر رجب 575هـ (1179م) ودفن بها. وقد أُلّف خلال حياته

رسائل ومنامات؛ ومقامات، على شكل وأسلوب أبي العلاء المعري في رسالة الغفران. وكان سليط اللسان مقذعا، لا يتورع عن استعمال الكلمات والجمل القبيحة، والبذيئة، وعن استعمال الأساليب الهزلية الهادفة: ومن أشهر مقاماته "المنام الكبير" الذي سار فيه على غرار المعري، والمقامة البغدادية، والمقامة الصقلية، ومقامة مساجد الشام، ومقامة بغلته، وذكر الباحث بعض من ترجم له كابن خلكان في "وفيات الأعيان"، وابن فضل الله العمري في "مسالك الأبصار"، والصفدي في "الوافي بالوفيات"، وابن قاضي شعبة في "الأعلام" والسيوطي في "الكنز المدفون" ومحمد كرد علي في مجلة المقتبس، وخير الدين الزركلي في الأعلام، وفريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين، وبروكلمان، والجيلالي، وعبد الله حمزة في دراسته عن الأدب المصري، وأخيرا الأستاذان: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، اللذان جمعا عددا كبيرا من مقاماته ورسائله ومناماته، وإصدارها في كتاب تحت عنوان "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" بالقاهرة عام 1968م، ويحتوي على 308 صفحة.¹ وكشف الباحث أن هناك ثغرة في حياته لم تتعرض لها دراسة شعلان وزميله، وهي الفترة الزمانية من حياته قبل هجرته إلى مصر والشام، ومن ثم فهي تحتاج من الدارسين مزيدا من البحث والدراسة.

ب. يرى يحيى بوعزيز في كتابه أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة قائلا: "إن ابن محرز الوهراني بأسلوب مناماته، وتعريضاته، ورقاعه يعد كاتباً مسرحياً كبيراً، وروائياً ساخراً من الدرجة الأولى في

¹طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر: الأغا بن عودة المزاري، تحقيق ودراسة: د/ يحيى بوعزيز. دار البصائر ج1، ص: 95، 96.

زمانه، على غرار برنارد شو، وموليير، ورايلي، حديثا وقل من نجا من سخريته اللاذعة في زمانه¹، ولهذا قال عنه صلاح الدين الصفدي وعلى الجملة فَمَا كَادَ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ لِسَانِهِ أَحَدٌ مِمَّنْ عَاصِرُهُ وَمَنْ طَالَعَ تَرْسُلَهُ وَقَفَ عَلَى الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ²

ت. يذكر يحيى بوعزيز أن العمري استاء من أسلوب ابن محرز الوهراني الساخر هذا وقال "وتخرص المنام الذي أتى فيه بالأكاذيب، وحسن باطله بحسن الترتيب، وذكر فيه الملائكة الكرام، وانتهك عرض السلف الحرام...."³، وهذا الأدب الساخر الذي امتاز به ابن محرز الوهراني له ما يشاكله عند الغربيين، بألوان وأشكال شتى، تحتاج إلى وقفات علمية متأنية. وهو يتقاطع مع أدب الفكاهة، حيث أنه في الميدان الاصطلاحي " تتعدد دلالات الفكاهة وتتداخل مع مصطلحات أخرى مثل الهزل والدعابة والسخرية والضحك... ومن ثم فالفكاهة نشاط هزلي، يشارك فيه عدة أشخاص يتفاعلون فيما بينهم، بطريقة تثير المتعة والضحك، من خلال حكاية أو نادرة أو نكتة يرويها أحدهم، أو من خلال فعل أو حدث أو موقف غريب أو مفاجئ، يخرق أفق انتظار الحاضرين، ويدفعهم إلى الاستجابة بأشكال مختلفة (ضحك، تصفيق، القيام بحركات

¹ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة : يحيى بوعزيز. ضمن (الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز) طبعة لا سيما وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م. ج2، ص: 189.

² الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ). تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م. ج4، ص: 275.

³ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. يحيى بوعزيز. المصدر السابق. ج2، ص: 189.

وإشارات...الخ) ¹ حسب تعبير الباحث المدني بورحيس. غير أنها تعد ظاهرة إنسانية منتشرة في جميع المجتمعات، وتظهر لدى مختلف الشرائح والطبقات والأعمار، حتى إنه من الصعب تصور مجتمع بلا فكاهة ولا ضحك، وهذه الظاهرة لا تحدث في جميع الثقافات الإنسانية فحسب، بل إنها إلى جانب ذلك تتخلل جميع مظاهر السلوك الإنساني ²

ث. أما محمد كرد علي فقد أثبت على ابن محرز الوهراني، من ناحية تمكنه وإتقانه للفن الفكاهي، والأثر النفسي لمقاماته التي يمكن أن تكون علاجاً لكثير من الأزمات النفسية التي يتعرض لها الفرد لسبب أو لآخر وفي ذلك يقول: "وكلام الوهراني على خلطه وخبطه، يضحك العبوس، وقلما تتقبض منه النفوس، إلا لدن سماع الألفاظ السخيفة التي تتبو عنها الأذواق السليمة في هذا العصر...." ³. وهذه ناحية مهمة يمكن لأصحاب العلاج النفسي الاستفادة منها واستثمارها في الكشف عن كثير من

¹ ذ/ المدني بورحيس : الفكاهة في الدرس البيداغوجي، قراءة في أشكال الهزل ووظائفه في " اقرأ " لأحمد بوكماخ. ضمن : أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية 24 — 25 مارس 2009م.(فريق البحث الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة) جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط المملكة المغربية. الطبعة الأولى، 1431 هـ / 2010م. ص: 52، 53.

² الضحك في الأدب الأندلسي : دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، الدكتور أحمد الشايب. دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2004، ص: 7. نقلا عن : ذ/ المدني بورحيس : الفكاهة في الدرس البيداغوجي، قراءة في أشكال الهزل ووظائفه في " اقرأ " لأحمد بوكماخ. ضمن : أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثانية 24 — 25 مارس 2009م.(فريق البحث الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة) جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط المملكة المغربية. الطبعة الأولى، 1431 هـ / 2010م. ص: 52

³ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. يحيى بوعزيز. المصدر السابق. ج.2، ص: 189.

الأمراض النفسية ومن ثم تقديم العلاج الناجع لها بالاستفادة من التراث العربي الزاخر.

ج. وهكذا وانطلاقاً مما سبق بيانه، فإن من المشاهير الذين كان لهم أثر كبير في الصناعة الأدبية، العالم الأديب ابن محرز الوهراني (ت575هـ/1179م) المتميز بثقافته اللغوية والأدبية الكبيرة، والذي فرض نفسه في تراجم الأعلام الكبار، شخصية متميزة بأسلوبها الساخر، وتمكنها من صنع الانزياحات اللغوية المتميزة، وذكر المرحوم يحيى بوعزيز أن هذا الأديب "كان طموحاً إلى المعالي، وعندما لم يجد مكانته في وهران والجزائر، هاجر إلى المشرق العربي في عهد صلاح الدين الأيوبي، واستقر في القاهرة، وطمح أن يلتحق بديوان الإنشاء الذي كان يشغل به فطاحل الكتاب أمثال القاضي الفاضل، والعماد الصفهانى...، ولكن حال بينه وبين ما يشتهي بعض العوائق، فاتخذ سبيل أسلوب الكتابة الهزلية التي لا ينافسها فيها أحد، فكتب المنامات، والمقامات، والرسائل..."¹

وأشار الباحث إلى ورود اسم ابن محرز الوهراني عند العلامة ابن خلكان في وفيات الأعيان الذي قال عنه في وفيات الأعيان: "أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين، وقيل جمال الدين؛ أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، وفنه الذي يمت به صناعة الإنشاء، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب

¹ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. يحيى بوعزيز. المصدر السابق. ج2، ص: 183،

وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تتفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوته، ولو لا طوله لذكرته، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمانا، وتولى الخطابة بداريا، وهي قرية على باب دمشق في الغوطة. وتوفي في سنة خمس وسبعين وخمسائة بداريا، رحمه الله تعالى، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني. نقلت من خط القاضي الفاضل: وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني"¹.

ح. واستطرد الباحث يحيى بوعزيز في ذكر خصائص أسلوبه الساخر الذي جلب له بعض المتاعب، وذكر هذه الرسائل التي جمعت تحت عناوين متعددة منها "رسائل الوهراني" وأحيانا "منامات الوهراني"، وأحيانا "مقامات الوهراني"... وقد جمع تلك النسخ المخطوطة الباحثان: إبراهيم شعلان، ومحمد نغش وذكر يحيى بوعزيز أن "ابن محرز الوهراني بأسلوب مناماته، وتعريضاته، ورقاعه يعد كاتباً مسرحياً كبيراً، وروائياً ساخراً من الدرجة الأولى في زمانه، على غرار برنارد شو، وموليير، ورابلي، حديثاً وقل من نجا من سخريته اللاذعة في زمانه..."²، وفي

¹ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ). تحقيق : إحسان عباس. دار صادر - بيروت الجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971. ص: 385.

² أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. يحيى بوعزيز. المصدر السابق. ج.2، ص: 189.

الحقيقة فإن الفكاهة فن قديم، فقد " ظهرت في التراث العربي كثير من الشخصيات الفكاهية وقد اشتهر منها أشعب وأبو دلامة وأبو العبر " ¹.

خ. وقدم الباحث يحيى بوعزيز نماذج من مناماته ومنها منامه الكبير الذي سار فيه على غرار أبي العلاء المعري. فتصور نفسه ميتا، وبعث إلى يوم المحشر، والتقى هناك بالعلماء والفقهاء... ووصف أحوال وأوضاع آخرين بأسلوبه الناقد والساخر، والغامض، والغريب، مع خفة الروح، وطرافتها على عكس أسلوب المعري الذي يمتاز بالجدية والصراحة، والميل إلى أفكار المتصوفين، وقدم نموذجا من منامه الكبير عن يوم الحساب "...فبيننا نحن في المعاورة وإذا نحن بمالك خازن النار قد هجم علينا، وقبض على ايدينا، ورمى السلسلة في أرقابنا، وسحبنا إلى النار، فارتعنا إلى ذلك ارتياحا عظيما. وقلت لك : هذا الذي خوفتك منه قد وقعنا فيه. فقلت له يا سيدي يا مال اسمع عني كلمتين لوجه الله تعالى، فيقول لك: كيف أسمع منك وقد حذف ربح اسمي في النداء فتقول: والله ما حذفته للترخيم في النداء الجائر عند جميع النحاة، وإني لفي شغل عن ذلك وما حذفته إلا من شدة الهلع وانقطاع مادة الكلام...." ².

د. اهتمام الباحث يحيى بوعزيز بإحياء مآثر المجاهدين الجزائريين، ونضالهم وكفاحهم، وسنكتفي هنا بشخصيتين قادتا الكفاح الجزائري ضد قوات الاحتلال الفرنسي وهما: الشيخ محي الدين بن المصطفى بن

¹ الموسوعة العربية العالمية : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية 1419هـ — (1999م). ج17، ص: 398.

² أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. يحيى بوعزيز. المصدر السابق. ج2، ص: 190، 192.

المختار والد الأمير عبد القادر الحسني، وقد أمارت الباحث اللثام عن شخصية الأمير عبد القادر الجزائري منذ وقت مبكر، وفي فترة عصيبة، من تاريخ الجزائر الحديث، وهي تخوض معركة لإثبات هويتها العربية، أمام الهجمة الثقافية الشرسة التي كانت تشنها فرنسا بمختلف مكوناتها ضد الشخصية الجزائرية، ومحاولة محوها من الوجود، بالتزريف والتحريف، ونشر ثقافة التحريف¹، لقد ذكر يحيى بوعزيز وهو يستعرض المراحل الأولى من حياة الأمير أنه ولد بواد الحمام عام 1190هـ (1776-1777م) ودرس على أبيه، وعلى شيوخ معهد القيطنة، وورث على والده مشيخة الزاوية، وأصبح من علماء الظاهر والباطن، وكثر عليه طلاب العلم، ومريدو الطريقة والتصوف، واشتهر بالصلاح وسداد الرأي، وغزارة العلم والمعرفة، كما اشتهر بمقاومته لسياسة القسوة والظلم التي يتبعها بعض الحكام، وحينما كان منفيًا بوهران إثر وشاية كاذبة، بعث له تلميذه الشيخ السنوسي بن عبد القادر الراشدي الدحاوي قصيدة يسليه بها، ويخفف عليه آلام الغربة وفراق الأهل ومما جاء فيها :

عول على الصبر لا تفزعك أشجان ولا ترعك بما فاجتك وهران
أما هي الدار لا تؤمن غوائلها بل هي الدار أغيار وأحزان
شبت على الغدر لم تعطف على أحد إلا ومن غدرها صد وهجران
ما أنت أول من أدهت وآخرهم ولا بأوسط من خانته أزمان

¹ جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة ج1، ص: 633، 634 : خ ر ف - 1596 خ ر فتحريف [مفرد]: ج تخريفات (لغير المصدر) وتخاريف (لغير المصدر) - 1 مصدر خرف - 2. كلام وهمي غير منطقي [ص: 634] يُنكره العقل "تخاريف نائم/ سكران - يجب الرد على التخريفات الصهيونية بشأن الهيكل السليمانى".

انظر إلى يوسف الصديق كم لبثت
وانظر إلى ابن رسول الله ثم إلى
تلك العوائد أجراها على قدر
لم يتفوق يا محي الدين عن زلل
إلى أن يقول:

بل لا عليك وإن ساءت ظنونهم
إن العواقب في القرآن ثابتة
وأنت ما زلت تهدينا إلى سنن
تقري الضيوف وتسعى في حوائجهم
سيهزم الجمع أو ينفض ديوان
للمتقين وصدق القول قرآن
تهدي إلى الحق لم يبتك طغيان
وتحمل الكل لا غش ولا ران

وعندما تأكد باي وهران حسن بن موسى من بطلان الوشاية، رفع عنه الإقامة الجبرية، ليتوجه للحج بعد ذلك، ويزور عددا من أقطار الشرق رفقة ابنه الأمير عبد القادر... وبعد أن احتل الفرنسيون مدينة وهران يوم 4 جانفي 1841م، تزعم الشيخ محي الدين حركة الجهاد والمقاومة ضدهم مع ابنه عبد القادر الذي رشحه للإمارة وحضر مبايعته بسهل غريس أميرا للجهاد والمقاومة وتوفي عام 1249هـ (1833م-1834م) فخلفه ابنه محمد السعيد في رئاسة الزاوية، وابنه عبد القادر في حركة الجهاد والمقاومة¹. وبالنسبة للأمير عبد القادر فآثاره في الحركة العلمية، لا يمكن أن يفي بها مقال أو كتاب، لا سيما من خلال المرحلة الثالثة من حياته والتي قضاها بالشام (1855-1883م). وكانت حافلة بالعبء الخيري والعلمي والإنساني، وكانت مرحلة مباركة بكل أبعادها " ومن

¹طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر : الآغا بن عودة المزاري. المصدر السابق. ج1، ص: 101، 102.

شدة حرص الأمير على خدمة العلم والعلماء اشترى " مبنى مدرسة دار الحديث النووية الأشرفية بدمشق، ثم أوقفها على نشر العلم والعبادة والذكر وفعل الخير، وقد افتتح فيها دروسه لصحيح البخاري وغيره من الكتب العلمية¹.

وقال عنه الشيخ محمد بن محمد مخلوف " وصدرت له تأليف ورسائل لو جمعت لبلغت مجلدات، منها المواقف في التصوف وتعليق على حاشية لبعض أجداده في علم الكلام، والمقراض الحاد رد فيه على بعض الطاعنين في دين الإسلام، والصفات الجياد وضعه في محاسن الخيل وصفاتها، وذكرى العاقل وتنبه الغافل ضمنه كثيرا من حقائق العلوم ومجالي العقول وله الشعر الجيد..."²

جاء في تصدير كتاب "عصر الأمير عبد القادر" من طرف عبد العزيز البابطين أنه "عندما أصبح طالب العلم - المتقف - أميرا لم يتغير نمط حياته... وظل بين شعبه لا يفصله عنه أي فاصل أي أنه تجاوز كل قرون الظلام وعاد إلى شفافية السلطة في زمن الخلفاء الراشدين حين لم يكن بإمكان أحد أن يميز الخليفة عن باقي أفراد الشعب"³ وقد عقد الباحث ناصر الدين سعيدوني مقارنة وبين أوجه الشبه بين الأمير عبد القادر

¹ الأمير عبد القادر القائد الرائد في الذكرى المنوية الثانية لميلاده (1807 - 2007): محمد بن سميحة.: المصادر، مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. العدد 17، السداسي الأول 2008. ص: 237، 238.

² شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : الشيخ محمد بن محمد مخلوف .: دار الفكر، بيروت، لبنان،(د.ت). ص: 406.

³ عصر الأمير عبد القادر : ناصر الدين سعيدوني .: مراجعة : ماجد الحكواتي. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. 2000م.ص: 4.

الجزائري، من غرب العالم الإسلامي، والإمام شامل بطل القوقاز وكلاهما تعرف إلى صاحبه وحظي لديه بالتقدير، فسعى الأمير عبد القادر في إطلاق الإمام شامل وحرص على مكاتبته، كما كان الأمير محل تبجيل لدى شامل في مراسلاته له في الفترة التي سبقت إطلاق سراحه (1860-1865م) أو بعده (1876م).¹

سعى الباحث ناصر الدين سعيدوني إلى تجاوز الدراسة التقليدية عنه المكتفية بالتسجيل التقريري الوصفي "لأعماله الفردية وبطولاته الجهادية إلى محاولة التعرف إليه بنظرة جديدة، وذلك من خلال رسم ملامح العصر الذي عاشه وتأثر به وأثر فيه بأبعاده الدولية الأوربية منها والعثمانية، وبخصوصيته الجزائرية، وربط كل ذلك بالخصائص التي ميزت أعماله والصفات التي طبعت شخصيته"².

ومن اهتمامات يحيى بوعزيز بمآثر علماء وأبطال الجزائر، ما أشاد به خلال ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي وجهوده في نصح الحكام وتوجيه المسلمين من خلال الرسالة التي كتبها لأmir كانوا، وأيضا فتاواه ونصائحه لأmir مملكة الصنغاي، حيث أبرز الدور الرائد الذي قام به هذا العالم الجزائري الكبير في حركة الإصلاح في هذه المناطق العزيزة من إفريقيا والذي ترك بصمات لا تزال ماثلة إلى اليوم³، وقد أشاد بعض الباحثين بجهوده فيما يعرف بالنوازل

¹ عصر الأمير عبد القادر: ناصر الدين سعيدوني. المرجع السابق. ص: 179.

² عصر الأمير عبد القادر: ناصر الدين سعيدوني. المرجع السابق. ص: 05.

³ ينظر: الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز) طبعة لا سيما وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م، ص: 63 وما بعدها.

المفردة، والتي كان منها ما يتناول قضية العبادات والمعاملات، وكان بعضها يتناول السياسة الشرعية، ومن هذا النوع الأخير انتقى الباحث نطين هامين، أولهما: يتعلق بسياسة المسلمين مع أهل الذمة، ومع غير المسلمين عامة، وثانيهما: يحدد موقف بعض الفقهاء من بقاء المسلمين – تحت سلطة النصارى – في الأندلس، فبالنسبة للنمط الأول أشار الباحث إلى رسالة سميت "الرسالة المنصورية" وعنوانها "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وهي حسب الباحث "جواب عن سؤال يطلب منه توضيح ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة، ولا سيما يهود ناحية توات من جنوب البلاد الجزائرية...¹ وقد كان لهذه الرسالة أثرا بعيدا في الأحوال الدينية والاجتماعية والاقتصادية، كما يمكن أن تمنح الدارس للعربية وعلومها وآدابها حقائق مهمة عن أسلوب الكتابة الأدبية وخصائص اللفاظ والمصطلحات التي كانت متداولة في لغة الفقهاء.... ومثلّ الباحث للنمط الثاني برسالة الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني (ت914هـ/1508م) وعنوانها "أسنى المتاجر، في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواج" وكانت شديدة الوقع على المورسكيين، إذ حرمت عليهم كل تعايش مع النصارى².

¹ " مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري" محمد الحبيب الهيلة: أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (ديسمبر 1991/جمادى الآخر 1413): أهمية المخطوطات الإسلامية. ص: 222.

² ينظر: المرجع نفسه. ص: 223.

ومن الدراسات التي صدرت حديثا كتاب "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديّه للخطر اليهودي بصحراء توات" ¹، ومن ناحية أخرى أشار الباحث المرحوم يحيى بوعزيز إلى بعض مؤلفات المغيلي النفيسة، ويلاحظ الدارس على هذه المؤلفات على الرغم من انشغالاته اهتمامه بالدرس اللغوي لا سيما البلاغي منه كما يتجلى ذلك من خلال اختصاره لتلخيص المفتاح للقرويني والذي سمّاه بـ "التبيان في علم البيان" وشرحه بكتاب "شرح التبيان في علم البيان" ² واهتمام الشيخ المغيلي بالدرس البلاغي تحتاج إلى وقفة متأنية نأمل تحقيقها في مناسبات قادمة إن شاء الله.

اهتمام يحيى بوعزيز بشخصية وكفاح الأمير عبد القادر الجزائري:

أصدر المرحوم يحيى بوعزيز رحمه الله منذ أن كان بتونس طالبا للعلم ومناضلا من أجل حرية بلاده الجزائر كتابا حول الأمير عبد القادر وسيرته الذاتية وجهاده البطولي ضد القوات الفرنسية الظالمة الغاشمة، وقد أُلّف هذا الكتاب وهو يزاول دراسته في جامع الزيتونة المعمور وذلك في "18 شعبان 1376هـ/20 مارس 1957م، وأهداه إلى روح الأمير عبد القادر وإلى الشعب الجزائري الذي يكافح في سبيل العزة والحرية والإخاء والمساواة والسلام" ³ وكان لهذا كتاب صدى كبيرا في

¹ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديّه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني : عبد الله حمادي الإدريسي: (صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م ط1، 1432هـ /2011م.ج1ص:64.

² المرجع نفسه..ج1، ص: 64.

³ أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة : محمد بسكر. دار كردادة، بوسعادة، الجزائر طبعة لا سيما 2013. ج2، ص: 423.

الأوساط الثقافية آنذاك، وعند المتعطين للقراءة، لاسيما ما كان متعلقا بتاريخ الجزائر، وكفاحها لأجل الانعتاق والاستقلال، ومن خلال المقدمة التي وضعها الأخ المجاهد "عيسى مسعودي" نرى أهمية هذا المؤلف ليحي بوعزيز في تلك الفترة العصبية من تاريخ الجزائر الحديثة، وبعد حديثه عن مأساة التأليف في أقطار المغرب العربي الثائر، يتحدث عن مؤلف الكتاب الذي يصفه ويسميه بالكاتب الثائر قائلا: "والأخ بوعزيز يعرفه أبناء المغرب العربي من كتاباته (الثائرة) — وغبه المفضوح — التي يخطها بقلمه الذي يشتم منه رائحة البارود.. ولعنة الثوار على غلاة الاستعمار أعداء الأحرار.. وأجدر بنا الآن نسميه (الكاتب الثائر) لأنه لم يكن إلا ثائرا¹، وبعد أن يتحدث الأخ عيسى مسعودي عن الأهمية الظرفية والمرحلة الزمنية التي ظهر فيه المؤلف، نراه يبرز للقارئ "الظاهرة الثانية والمزية الأخرى لهذا المؤلف المتواضع، وهو جعله بين أيدينا دراسة ضافية (مقنعة) لأمثالنا — للباحثين أيضا — يعرفنا فيها شخصية الأمير من عدة جوانب.. — فهو البطل المغوار الذي تشهد ساحات الوغى بشجاعته وإقدامه.. وهو الفقيه القاضي.. وهو العالم الذي منح عضوية الأكاديمية الفرنسية بباريس.. وهو القائد.. ورجل الدولة الحكيم وهو رب العائلة الرشيد.. وهو الشاعر الفحل الخ.."²، وهكذا اهتم المرحوم يحيى بوعزيز بتاريخ مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة وفق

¹ الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده: د/ يحيى بوعزيز. الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز. طبعة لا سيما، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما، 2009م. ص: 22، ص: 24.

² المصدر نفسه.. 22م، ص: 25.

تنظيم عصري، يحاول المزاجية بين الأصالة والمعاصرة، والتوفيق بين أصول الدين ومتطلبات المدنية العصرية، وفي هذا الصدد تدخل دراساته ومقالاته وتحقيقاته العلمية حول الأمير عبد القادر الجزائري. ومن الجدير بالتنويه في هذا الصدد ما شهد به المرحوم أبو القاسم سعد الله في شأن كتاب يحيى بوعزيز حول الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، وقيمه التاريخية والعلمية في ذلك السياق الحضاري الذي ظهر فيه، فترة الكفاح ضد المحتل الفرنسي، قال المرحوم سعد الله " منذ ألف محمد بن الأمير كتابه (تحفة الزائر) لم يهتم الجزائريون بالأمير وأهملوه تقريبا مدة خمسين سنة أو تزيد، وبم يقتحم ميدان الكتابة عنه إلا اثنان وكلاهما تناولوه باللغة الفرنسية، الأول هو كاتب ياسين الذي كتب عنه دراسة صدرت في كتيب صغير حوالي 1948 والشريف ساحلي الذي جعل لكتابه عنوانا فكريا هو (فارس العقيدة) حوالي 1955، والكتاب الأخير من الكتب التي سلطت الضوء على دور الأمير في الفكر والدين والثقافة، ودافعت عن بعض الشائعات التي ألصقت به كدخوله الماسونية، والاستسلام دون مواصلة الكفاح حتى النهاية. وفي تلك الفترة ظهر عن الأمير أيضا كتاب بالإنجليزية عنوانه (صقر الصحراء). لذلك كان كتاب يحيى بوعزيز أول عمل فيما نعتقد ألف باللغة العربية منذ نشر محمد بن الأمير (تحفة الزائر) سنة 1913.¹

¹ تاريخ الجزائر الثقافي : أبو القاسم سعد الله. دار البصائر، الجزائر، طبعة لا سيما 2007. ج 10 (1954 — 1962). ص: 575.

إن هذه الجوانب العبقريّة في شخصيّة الأمير عبد القادر لا يمكن الإحاطة بها في هذا المقال الموجز، وإنما هي إشارات تحفيزية لكل متعّش لمعرفة شخصيّة هذا الأمير الهام.

ومن جهود المرحوم يحيى بوعزيز، تحقيقه لكتاب "سيرة الأمير عبد القادر وجهاده" للحاج مصطفى بن التهامي ابن عمّة الأمير، والذي كان من أهل العلم والثقافة والعقل والإرادة، والثقة في حفظ الأسرار، ولأجل ذلك أسند له الأمير منصب الكاتب والرئيس لديوان الإنشاء، كما كلفه الأمير بعدة مهام أساسية في الداخل والخارج، وبقي وفيا ومخلصا للأمير حتى في أحلك الظروف والفترات العصيبة التي مرّت بها قواته، من قبل بعض الإخوة الأشقاء.... وفي هذا الصدد يقول يحيى بوعزيز: "بقي الحاج مصطفى بن التهامي مع الأمير عبد القادر ملازما له في كل أعماله، وخاض معه كل معاركه الأخيرة في بلاد الريف ضد قوات السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام، وضد قوات الفرنسيين إلى أن استسلموا إلى الفرنسيين في أواخر ديسمبر 1847م. فاقتادوهم جميعا إلى قلعة لامالق la Malgue بمدينة طولون، ثم إلى مدينة بُو في بياريتز، وأخيرا إلى قصر أمبواز بمقاطعة أوليان أين قضوا أربع سنوات ونصفا، وهناك كلفه الأمير عبد القادر بكتابة تاريخه...، ونظم غوثيته التي تتألف من 522 بيتا في التوسل إلى الله ورجاء لطفه، ورحمته وفرجه، بعد أن ضاقت بهم الدنيا، وتأخر إطلاق سراحهم إلى المشرق كما اشترطوا من

قبل عند استسلامهم"¹. وهذا شأن المؤمنين الصادقين يجأرون إلى الحق تبارك وتعالى، حينما تنزل بهم المصائب، وتحيط بهم النكبات، وتتوالى عليهم الخطوب الحالكات، ويتوجهون إلى جنابه سبحانه، وينزلون في ساحته، عسى أن يكشف ضرهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، مصداقا لوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾².

اهتمامه بالحركة الثقافية والمؤسسات العلمية إبان الفترة الاستعمارية:

تحدث الباحث المرحوم يحيى بوعزيز عن مؤسسات أخرى دينية ساهمت بشكل كبير إبان الفترة الاستعمارية في تعليم علوم العربية وأصول الدين الإسلامي الحنيف، وشيخ الزاوية هو من يقوم بمهام التعليم الديني، لا سيما إذا كان مثقفا، ويعاونه بعض النواب، تحت مسميات متعددة حسب جهات البلاد. ومن باب الإنصاف فإن المرحوم يحيى بوعزيز لم يهمل الدور النسوي في العملية التنقيفية التي قامت بها الزوايا والمدارس الإصلاحية، وذكر بعض الأسماء اللامعة التي فرضت وجودها ودورها على الرغم من الفترة الاستعمارية الحالكة التي هيمنت على مناحي الحياة، يذكر مثلا " السيدة زينب القاسمي شيخة زاوية الهامل التي أدارت الزاوية ثمان سنين من عام 1897 إلى عام 1904م، وكانت مثقفة

¹ سيرة الأمير عبد القادر وجهاده : الحاج مصطفى بن التهامي .: تحقيق وتقديم وتعليق : د/يحيى بوعزيز. الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز. طبعة لا سيما، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما، 2009م. ص: 21، ص: 28.

² يونس: 107.

ثقافة متينة أهلها لتلك المهمة التي يعجز عنها بعض الرجال...¹، ويذكر رحمه الله بعض الأسماء التي تركت بصمات واضحة في الحركة الثقافية الجزائرية، وتنوير أجيال الاستقلال، وهذا بفضل المدارس القرآنية والمساجد والزوايا وجهود الحركة الإصلاحية، ويقول رحمه الله أنه من الطريف "أنه حتى الطرق الصوفية التي تتسم بشدة المحافظة لم تتخلف عن الركب، فأعطت للمرأة بعض الفرص، ولكن في الإطار النسوي، وسمحت للبعض منهن أن يتقلدن منصب: الشيخة أو المقدمة، على المريدات منهن، التابعات للطريقة الصوفية، ويمارسن الوعظ والإرشاد للعنصر النسوي والتوعية للبنات، والتلميذات الصغيرات...²".

ويذكر رحمه الله بعض المعلمات الرائدات عام 1947، في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة: حورية عربية، وعقيلة كحلوش، ونعناعة ونيسي، وفي مدرسة الفلاح بوهران: فاطمة طياب، وأمينة زعان، وحورية خثير...³. ومن باب التحدث بنعمة الله تعالى، فقد خصص المؤلف رحمه الله حيزًا خلد فيه نضال عائلته من النساء اللاتي تشبعن بالقيم العربية والإسلامية، وأشربت في قلوبهم الطهارة والفضيلة، بإيمانهم وصبرهم وإتقانهم للعمل، فكنّ بحق خير خلف لخير سلف.

¹موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية : يحيى بوعزيز :. (ضمن الأعمال التاريخية) طبعة لا سيما بوزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م. م 1 ص: 26.

²موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية : يحيى بوعزيز. المصدر السابق. ص: 35.

³المصدر نفسه. ص: 36.

تحدّث المرحوم يحيى بوعزيز عن مؤسسات أخرى دينية ساهمت بشكل كبير إبان الفترة الاستعمارية في تعليم علوم العربية وأصول الدين الإسلامي الحنيف، وشيخ الزاوية هو من يقوم بمهام التعليم الديني، لا سيما إذا كان مثقفا، ويعاونه بعض النواب، تحت مسميات متعددة حسب جهات البلاد، وعلى الرغم من بعض السلبيات التي وقعت فيها بعض الزوايا، لظروف متعددة إلا أن أغلبها، ساهم بإيجابيات لا تتكرر، وفضائل لا تدفع من أبرزها:

(1) اهتمامها بتحفيظ القرآن الكريم والمساهمة في حمايته من الاندثار أو النسيان.

(2) قاومت سياسة التجهيل، وعملت على محو الأمية، وخرّجت أجيالا من حملة العلم الشرعي، وأسرار العربية.

(3) عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية.

(4) أنهت كثيرا من الخصومات بين مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، وقللت من المشاكل بين الناس.

(5) كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات، وإن كان قد تعرّض جزء هام من هذا التراث للتلف بفعل المقاومة الشعبية والثورية للاستعمار الفرنسي.

(6) شاركت الزوايا في المقاومة ضد الاستعمار بعدة أشكال وطرق، حيث حاربت الدرقاوية الولاية الأتراك المستبدين في شرق الجزائر وغربها، وحاربت الرحمانية والسنوسية الاستعمار الفرنسي في الجزائر وليبيا....

7) عملت الزوايا على مقاومة الفرنسية والحركة التنصيرية التبشيرية¹. من الصفات البارزة في شخصية المرحوم يحيى بوعزيز، غيرته الكبيرة على بلاد المغرب العربي، لاسيما الجزائر بحكم الانتماء، والمولد والنشأة، وتاريخ الآباء والأجداد، ولذلك نراه في واحد من مؤلفاته النفيسة، ينعي الحالة المزرية التي آل إليها وضع كتابة تاريخ الجزائر في مختلف جوانبه، وذلك في فجر الستينات من القرن العشرين وفي ذلك يقول: "ورغم أن تاريخ الجزائر، تاريخ بطولة، وحضارة ومجد، إلا أنه للأسف الشديد مجهول، وغامض، لا يعرف العالم الخارجي عنه شيئا، ولا نعرف نحن أبناء الجزائر عنه، إلا أقل القليل عن طريق السماع، أو قراءة كتب سطحية محرفة كتبت من وجهة نظر مغرضة لخدمة الأهداف الاستعمارية البغيضة أكثر من أي شيء آخر..."²، وليؤكد المرحوم حقيقة الخطة الاستعمارية التي كانت ترمي إلى سلخ الشعب الجزائري عن جذوره ومقومات شخصيته، يعود إلى البرامج الدراسية التي كانت تركز عليها فرنسا لتدريس أبناء الجزائر المحظوظين، من حيث التركيز على " تاريخ فرنسا وحضارتها بالتفصيل خلال كل مراحل التعليم، وفي

¹ ينظر : المساجد العتيقة في الغرب الجزائري: يحيى بوعزيز: (ضمن الأعمال التاريخية) طبعة لا سيما بوزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م. ص:19، 20.

² الموجز في تاريخ الجزائر (1—2) الجزائر القديمة والوسيط والجزائر الحديثة : د/ يحيى بوعزيز. (ضمن الأعمال التاريخية) طبعة لا سيما بوزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م. ج1. ص: 03.

مقابل ذلك منعهم من الاطلاع على كل ما يتعلق بالجزائر اللهم إلا كونها أرضا فرنسية، وأن سكانها من أصل جرمانى نزحوا إليها من أوربا.¹ كما تحدث المرحوم عن أهم المشاكل التي تجابه الدارسين لتاريخ أقطار المغرب العربي، والطريق الأمثل لتذليلها، وقد كانت نظرات المرحوم التاريخية، وتوجيهاته صائبة إلى أبعد الحدود، نظرا لما يتمتع به من حس تاريخي علمي رصين، ومن عزيمة وإرادة فولاذية لا تعرف الكلل ولا الملل، ونظرا أيضا لصدق نيته وإخلاصه وحبه لوطنه، وعلو همته، وفقه العميق للأمانة التاريخية الملقاة على عاتقه اتجاه الأجيال اللاحقة، وإدراكه المستقبلي لأبعاد المؤامرات الخبيثة التي تحاك في الظلام ضد الأمة الإسلامية، ومقومات وجودها، فهو يرى قوة هذه الأمة وعزتها في وحدتها واجتماع كلمتها ومحاربة كافة أشكال التعصب والتطرف والغلو.

¹ الموجز في تاريخ الجزائر : د/ يحيى بوعزيز. المصدر السابق.ج.1. ص: 04.

الخاتمة:

ومن النزر القليل مما سبق استعراضه من مسيرة الرجل النضالية في مختلف مناحي الحياة، ودفعه لضريبة العلم والعلماء، يتضح لنا جليا أن الرجل وقف كالطود الشامخ، منافحا عن بلده وعن تاريخ الجزائر العريق، الضارب في الجذور، والمنتمي إلى محيطه العربي والإسلامي، وما الرحلات العلمية والدينية والأخوية التي سطرت في المصنفات الأدبية أو التي لم تسطر لسبب أو لآخر إلا دليل جلي على عمق الأواصر والروابط بين المغرب والمشرق العربيين والإسلاميين، كما اتضح لنا أن الجزائر بها طاقات هائلة في مختلف دروب العلم والمعرفة، ما فتئت كتاباته تدعو إلى نفض الغبار عنها ونشرها بين الأجيال الصاعدة، التي تعيش في عصر يشهد صراعات حضارية قوية، مع تطور التكنولوجيات الحديثة، ومن ثم فلا بقاء للمجتمعات المنطوية على ذاتها، والمهملة لتاريخها وتراثها، والمهمشة لعلمائها وأدبائها.

وعلى العموم فإن الذخيرة التاريخية الكبيرة التي خلفها المرحوم العلامة يحيى بوعزيز وراءه تمثل كنزا علميا حري بطلاب العلم وأهل الثقافة أن ينهلوا من معينه، وان تنصب الدراسات حول مواضيعه وما طرحته من إشكاليات وأجوبة، جديرة بالتوقف عندها وفتح آفاق البحث والدراسة حولها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. "الأمير عبد القادر القائد الرائد في الذكرى المئوية الثانية لميلاده (1807 – 2007)": محمد بن سمينة: المصادر، مجلة سداسية محكمة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. العدد 17، السداسي الأول 2008.
2. أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة : محمد بسكر. دار كردادة، بوسعادة، الجزائر طبعة لا سيما 2013.
3. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة : يحيى بوعزيز. ضمن (الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز) طبعة لا سيما وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م.
4. الأعمال الكاملة للدكتور يحيى بوعزيز. طبعة لا سيما، وزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما، 2009م. م4، ص: 239، 240.
5. الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني: عبد الله حمادي الإدريسي: (صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م ط1، 1432هـ / 2011م).
6. الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده: د/ يحيى بوعزيز. الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز. طبعة لا سيما،

- وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما، 2009م.
7. تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله. دار البصائر، الجزائر، طبعة لا سيما 2007. ج 10 (1954 — 1962).
8. سيرة الأمير عبد القادر وجهاده: الحاج مصطفى بن التهامي. تحقيق وتقديم وتعليق: د/يحي بوعزيز. الأعمال التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز. طبعة لا سيما، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما، 2009م. م: 21.
9. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: الشيخ محمد بن محمد مخلوف. دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
10. الشماريخ في علم التاريخ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود. مكتبة الآداب.
11. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر: الأغا بن عودة المزارى، تحقيق ودراسة: د/ يحيى بوعزيز. دار البصائر.
12. عصر الأمير عبد القادر: ناصر الدين سعيدوني. مراجعة: ماجد الحكواتي. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. 2000م.
13. الفكاهاة في الدرس البيداغوجي، قراءة في أشكال الهزل ووظائفه في "اقرأ" لأحمد بوكماخ: المدني بورحيس: ضمن: أبحاث في الفكاهاة والسخرية، الورشة الثانية 24 — 25 مارس 2009م. (فريق البحث

- الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة) جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط المملكة المغربية. الطبعة الأولى، 1431 هـ — / 2010م.
14. مختصر تفسير ابن كثير: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، 1402 هـ - 1981 م
15. المساجد العتيقة في الغرب الجزائري: يحيى بوعزيز: (ضمن الأعمال التاريخية) طبعة لا سيما بوزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م.
16. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض. مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان. ط2، 1400هـ - 1980.
17. المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ). تحقيق: سيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
18. مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري محمد الحبيب الهيلة: أعمال المؤتمر الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (ديسمبر 1991/جمادى الآخر 1413): أهمية المخطوطات الإسلامية.
19. الموجز في تاريخ الجزائر (1—2) الجزائر القديمة والوسيطة والجزائر الحديثة: د/ يحيى بوعزيز. (ضمن الأعمال التاريخية) طبعة لا

- سيما بوزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م
20. الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية 1419هـ— (1999م).
21. موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين: إعداد: مجموعة من الساتذة إشراف: رابح خدوسي. منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2014م.
22. موضوعات وقضايا المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية: يحيى بوعزيز: (ضمن الأعمال التاريخية) طبعة لا سيما بوزارة المجاهدين. عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة لا سيما 2009م.
23. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفي (المتوفى: 764هـ). تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م.
24. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ) تحقيق: إحسان عباس. دار صادر - بيروت الجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971. ص: 385.